**العلوم الإنسانيةج1**

**أولا-إشكالية المصطلح**

يشير مصطلح العلوم الإنسانية إلى الدراسات التي تستهدف الإحاطة المنهجية والوصفية والتفسيرية بالظواهر الإنسانية كعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس والانثروبولوجيا والاقتصاد والجغرافيا الخ، بفروعها العديدة، ولا ينطبق على الدراسات الانسانية الأخرى المعيارية والتنظيمية من قبيل فقه اللغة والقانون والشريعة والنقد الأدبي وأنظمة المحاسبة والإدارة.

لكن هناك استعمال مختلط بين العلوم الانسانية والاجتماعية ،فالكثيرون وعلى رأسهم كلود ليفي ستراوس يطابقون بين مصطلحي human sciences وsocial sciences،لكن سرعان ما تبين أن المصطلح الأول هو المصطلح المعمول به في السنوات الأخيرة ،كون أن الإنسان بمختلف أبعاده الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية ...الخ هو الموضوع المحوري والوحدة النهائية التي ترتد إليها الدراسة في كل حال.

في حين أنه في التقاليد الأنجلو ساكسونية يدل مصطلح الانسانيات على الآداب والفنون والوسائل المعيارية والقيمية واتجاهات تفسير النصوص ،وكلها مواضيع مفارقة للعلم ولا ينبغي أن تختلط به،وهو ما جعلهم يفضلون مصطلح العلوم الاجتماعية على العلوم الإنسانية.

**ثانيا-منهج العلوم الإنسانية بين التخلف والتطور:**

رغم أن العلوم الإنسانية تعد من ميراث القرن العشرين العلمي ،إلا أنه من الملاحظ أنها لم تكون نسقا متكاملا من القوانين والنظريات مثل العلوم الطبيعية ،وهذا التخلف هو أساس ما يعرف بمشكلة العلوم الإنسانية.

يعتبر دلتاي (1838-1911) من طبيعة الرواد الذين استشعروا بعمق أصالة مشكلة العلوم الإنسانية وعجزها عن مجاراة التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية والرياضية ،حيث حصرها في مشكلتين أساسيتين:

* الأولى:أن العلوم الإنسانية حديثة النضج والنمو،وعجزها عن تقديم تصور واضح يعود إلى عدم وجود تصور واضح ومتفق عليه حول الأهداف والمناهج والعلاقات بينها،إذا ما قورنت بالعلوم الأخرى .
* الثانية :أن العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها علوا واطرادا بحيث ترسّخ في الرأي العام النموذج والمثل الأعلى للمعرفة.

**ثالثا:تاريخ الاهتمام بمشكلة العلوم الإنسانية:**

إن مسائل العلوم الإنسانية كانت منذ الأزمنة البعيدة موضع الاهتمام الأكبر ،وتستقطب أعظم العقول ،فكان تناولها أكثر نضجا من تناول مسائل العلوم الطبيعية .

ويعتبر ابن خلدون صاحب محاولة رائدة وناضجة في تأسيس العلم الإنساني ممثلا في علم العمران البشري أو ما يعرف حاليا بعلم الاجتماع،لكنها بقيت محاولة لم تؤت أكلها كونها برزت وشمس الحضارة العربية على وشك الأفول،وخلفته عدة محاولات منها محاولة سان سيمون،أو حتى أوغست كونت والعديد من علماء الغرب الذين قدّر لمحاولاتهم التواصل والسيرورة والنماء،لكن رغم ذلك تبقى جهود ابن خلدون وفيكو الأرضية الحقيقية التي استندت إليها كل المجهودات اللاحقة .

وسرعان ما بدأ يظهر التفاوت الكبير والحاد بين مستوى التفكير في الإنسانيات ومستواه في العلوم الطبيعية،حيث يقول جون بيرنت"في الأيام الباكرة كان اطراد الحياة الانسانية موضوعا للإدراك الجلي أكثر من سياق الطبيعة..وقد عاش الإنسان في دائرة خلابة من القانون والعرف ،أما العالم من حوله فعلى ما يبدو ظل مفتقرا للقانون."

ولكن الفروق النوعية للظاهرة الإنسانية وخصوصيتها وما تختص به من إسقاطات ذاتية أو حميمية أو عاطفية ومثاليات غائية ...الخ،هي من جعلتها موضع الاهتمام الأكبر منذ الأزمنة البعيدة ،وجعلتها من الناحية الأخرى تبدو مستعصية على أصوليات النسق العلمي ،وتتخلف عن مسيرته ،وتنكشف قصور المحاولات السابقة عن شروط ما هو علمي،وحتى بدايات الفرن التاسع عشر لم يكن أحد يفكر تفكيرا جديا في فكرة العلوم الانسانية.

**رابعا:خصائص الظاهرة الإنسانية:**

لقد قيل الكثير عن حيثيات مشكلة العلوم الانسانية والصعوبات المحيطة بها والمتمثلة في جملة الخصائص التي تتميز بها الظاهرة الانسانية دونا عن الطبيعية من قبيل:

* صعوبة التكميم واستخدام ألفاظ كيفية ،ومن ثمة صعوبة صياغة قوانين دقيقة،وأن الباحث جزء لا يتجزأ عن الظاهرة التي يبحثها ،فلا بد أن يشعر اتجاهها بميول وأهواء معينة تفرضها الايديولوجية السياسية والاجتماعية والبنية الثقافية والبيئة الحضارية التي ينتمي إليها،مما يؤدي إلى الإسقاطات القيمية أو الأحكام الايديولوجية على البحث،وهو ما يناقض طبيعة العلم الذي يأبى تدخل **عنصر القيمة** الفضفاض وهو العنصر الذي يصعب استئصاله من البحوث الانسانية .
* الظاهرة الإنسانية ظاهرة ثنائية النسق تقوم على محور الإنسان ،هذا الأخير الذي يمتلك بعدين باطني وآخر خارجي سلوكي ،ولتحايث هذين البعدين اللذين يصعب الفصل بينهما ،أصبح من الصعوبة تطبيق المنهج التجريبي العلمي على هذه الثنائية.
* عامل الحرية: والمقصود بها حرية الإنسان والمرتبطة بالمسير والمصير ،ما يجعل الظاهرة الانسانية تخرج عن سيطرة قوانين السببية والحتمية والتي تعتبر من الركائز الأساسية للعلم التجريبي،وهو ما يؤدي إلى سقوط التنبؤ والتحكم فيها.
* تفرد الظاهرة uniqueness وخصوصيتها جعل إمكانية دراستها دراسة علمية تجريبية محاولة تشويه لطبيعتها غير المتكررة وغير المتجانسة،وهو ما يمنع عزلها وإعادة تكرارها،وهو ما يمنع عالم الاجتماع مثلا من تكرار الظاهرة التي يريد دراستها وإخضاعها للمشاهدة.

كل هذه الاختلافات والخصائص أثارت ولا تزال العديد من الشكوك حول علمية الظاهرة الانسانية.

**خامسا:الحاجة إلى المنهج:**

إن الحاجة إلى منهج للعلوم الإنسانية لم يبدأ إلا حينما استقلت علوم الانسان في بدايات القرن19 عن الفلسفة،وقتها حاول باحثوها إيجاد منهج ملائم لها ،لا هو بالمنهج الاستنباطي الرياضي ولا بالمنهج الاستقرائي الخاص بالعلوم الطبيعية ،ذلك لأن الإنسان ليس عددا أو شكلا بل هو روح لا يقبل الكم أو القياس ولا تخضع للملاحظة أو التجريب،ورغم بساطة هذه الحقيقة إلا أنها قوبلت بالرفض من قبل الكثير من الباحثين في العلوم الانسانية،وأدى ذلك إلى قيام ما يسمى **بأزمة المنهج في العلوم الانسانية.**

بدأت هذه الأزمة عندما حاول الوضعيون رد الروح إلى المادة،وبالتالي إخضاع علوم الانسان إلى منهج علوم المادة ،وازدادت هذه المشكلة تعقيدا عندما حاول هؤلاء وغيرهم تحويل الانسان إلى مجرد عدد يمكن دراسته بالمنهج الاستنباطي ،غير أن مجموعة ثالثة رأت ضرورة أن يتخذ كل علم إنساني منهجا يخصه وحده دون غيره على أن لا يكون المنهج استقرائيا أو استنباطيا.

ونتاجا لهذه الأزمة وبدلا من العمل على حلها ومحاولة تشييد منهج واحد يلائم العلوم الانسانية ،ظهرت العديد من المناهج المتضاربة يقال أنها تخص الظاهرة الانسانية مثل منهج الاستبطان ومنهج التحليل النفسي والمنهج السلوكي في دراسة الظاهرة النفسية مثلا وهكذا في العديد من الميادين الأخرى،وهنا طرحت المشكلة :**ألا يمكن أن نجد منهجا واحدا للعلوم الانسانية كلها يختلف عن المنهج المتبع في العلوم الرياضية وعن منهج العلوم الطبيعية حتى لا تبقى العلوم الانسانية فريسة للتشتت بين مناهج متنافرة وغير ملائمة؟**

**سادسا:منهج بحث واحد للعلوم الانسانية بطرائق بحث متعددة:**

إن القول بتعدد مناهج العلوم الانسانية يمثل خطوة تراجعية تعود بنا إلى ما قبل ظهور أزمة المنهج في العلوم الانسانية وهو ما لا يتناسب مع طبيعة الظاهرة الانسانية التي لا تقبل محاكاة الظواهر الأخرى بردها إلى المناهج الرياضية أو الطبيعية .

لا مراء في أن العلوم الانسانية أصبحت تستخدم طرائقا وأساليب بحث تستهدف إنجاز المنهج وتحقيق غاياته،ومن هذه الأساليب :الأسلوب التاريخي وأسلوب المسح الاجتماعي والأسلوب الاحصائي وأسلوب التحليل النفسي والأسلوب التأملي وأسلوب تحليل المضمون وأسلوب دراسة الحالة...الخ.

وتتفاوت هذه العلوم من حيث استخدامها لأسلوب أو أكثر حسب اختلاف تغييرات وسياقات هذا العلم أو ذاك،فالأسلوب الاحصائيي يستخدم مثلا في علم الاقتصاد لكنه لا يلائم الفلسفة ،وأسلوب التحليل النفسي يتناسب مع علم النفس،وأسلوب المسح الاجتماعي يوائم علم الاجتماع وهكذا،لكن هذا لم يمنع استخدام عدة ميادين لمناهج مشتركة فيما بينها مثل تحليل المضمون ودراسة الحالة وهكذا.

المراجع:

-ابراهيم مصطفى ابراهيم:في فلسفة العلوم،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،مصر،2018 ،ط2 .

-يوسف زيدان:قضايا العلوم الانسانية:إشكالية المنهج،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة.